جامعة الأزهر
مركز صالح كامل
للاقتصاد الإسلامي

Al-Azhar University
Saleh Kamel Center
For Islamic Economics

مفاهيم قرآنية اقتصادية

دكتور

رفعت السيد العوضي

أستاذ الاقتصاد

كلية التجارة – جامعة الأزهر

مدينة نصر – القاهرة –جمهورية مصر العربية – تليفون ٢٤٠٣٧٥١٤-٢٢٦١٠٣٠٨ - ٢٢٦١٠٣١١ - تليفاكس ٢٢٦١٠٣١٢
Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 24037514-22610308 - 22610311, TelFax: No. 22610312
www.sakc.azhar.edu.eg E-mail: salehkamel@azhar.edu.eg and salehkamel@yahoo.com

مفاهيم قرآنية اقتصادية

دكتور/ رفعت السيد العوضي (*)

مقدمـــــة:

أولاً: هذا البحث محاولة في موضوع يمكن القول عنه إنه جديد في مسارات البحوث العلمية في الاقتصاد الإسلامي، إنه بحث عن مفاهيم اقتصادية في القرآن الكريم. لا شك أن المسلمين اهتموا طوال تاريخهم بدراسة القرآن الكريم، وفي العصر الحديث تواصل هذا الاهتمام وظهرت فيه موضوعات جديدة منها موضوع المفاهيم. وفي هذا الموضوع الأخير وهو موضوع المفاهيم ظهرت فيه دراسات عامه يمكن توظيفها في بعض التخصصات العلمية، كما ظهرت فيه دراسات متخصصه في بعض العلوم. ولكن الاقتصاد لم تظهر فيه دراسات عن المفاهيم القرآنية الاقتصادية. هذا البحث محاولة في هذا المجال؛ أى في المفاهيم الاقتصادية في القرآن الكريم.

ثانياً: القرآن الكريم ينبه إلى ضرورة إعطاء أهمية لاستخدام الكلمة سواء كانت مفهوماً أو غيره. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة/١٠٤].

ويقول سبحانه : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَولَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون/٦٨].

وفي القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة تنبه إلى ضرورة إعطاء أهمية لاستخدام الكلمة ومعرفة الموضع الذى تقال فيه والدلالة التى تحملها. بل إن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة/١٠٤]. تنبيه إلى أن الكلمة تحمل معنى بحسب الثقافة التي تنتمى إليها. ويعرف هذا عندما تراجع آراء المفسرين في سبب نزول هذه الآية، والكلمة التى كان يستخدمها اليهود ودلالتها في ثقافتهم.

ثالثاً: اهتمام المسلمين بالثقافة المفاهيمية:

من الأمور المسلم بها أن المسلمين اهتموا بدراسات اللغة العربية وظهر هذا الاهتمام في مجالات متعدده منها :

١- ألف المسلمون كتباً في جميع المجالات الخاصة باللغة العربية .

(*) أستاذ الاقتصاد ـ كلية التجارة ـ جامعة الأزهر.

٢- اهتم المسلمون بنوع خاص من كتب اللغة وهو المتمثل في المعاجم وهذا النوع من كتب اللغة يعمل مباشرة على المصطلح كما أن له اقترابه من المفهوم

٣- فيما يتعلق بتأليف كتب متخصصة في المفهوم كشف البحث عن أن المسلمين اهتموا بهذا الموضوع ومن الأمثلة التى تذكر في هذا الصدد كتاب عضد الدين الإيجي في علم الوضع ، ويعتقد أن هذا الكتاب يعتبر أول كتاب في موضوع المفهوم .

رابعاً: أهمية المفهوم

يحمل المفهوم خلاصة الأفكار والنظريات والفلسفات لحضارة معينة أو لاتجاه فكرى معين. ولهذا يقال عن المفهوم إنه وعاء معرفي جامع. وتتضح أهمية المفهوم أو خطورته عندما ينتقل من الحضارة التى نشأ فيها ويحمل قيمها إلى حضارة أخرى، لأن هذه العملية تتضمن نقل قيم حضارة إلى حضارة أخرى وذلك من خلال نقل المفهوم بقيمه إلى الحضارة المنقول إليها، وقد لا تكون هذه القيم متلائمة مع قيم الحضارة المنقول إليها هذا المفهوم.

في بيان أهمية المفهوم أذكر العناصر التالية:

١- أول ما يتأثر بعملية الصراع الفكرى والثقافي.

٢- قد تتناسى الأمة خصوصياتها الفكرية وتخلط بين ما هو مشترك إنساني كالطبيعيات والتجريبيات وما هو من الخصوصيات فتتساهل باستعارة المفاهيم من غيرها حتى تفقد خصوصياتها الشرعية والمنهاجية المتعلقة بها.

٣- من أخطر أزمات الأمة الإسلامية الاحتكاك غير المنضبط بالغرب الأوروبي ومفاهيمه.

٤- المفاهيم التى يشيع تداولها بعد سيادة النموذج المعرفي العلماني تجعل الدين متغيراً تابعاً للمفاهيم الفكرية المستوردة.

٥- قد تؤدى المفاهيم المستوردة إلى الركود الفكرى أو تكييفه بحيث يتوافق مع هذه الثقافة المستوردة.

خامساً: المصطلح

توجد علاقة لزومية بين التعرف على المصطلح والتعرف على المفهوم. وفي سياق الحديث عن المفهوم أقدم تعريفاً للمصطلح؛ إنه يعنى: اسم يصطلح أو يتفق جماعة من الناس تجمعهم حرفة أو مصلحة أو علم من العلوم على إطلاق لفظ للدلالة على معنى.

ولهذا يحصر استعمال المصطلح داخل العلم، ويقال في صدد ذلك أنه لا مشاحة في الاصطلاح.

سادساً: الخطة المقترحة لبحث موضوع مفاهيم قرآنية في الاقتصاد تتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نموذج لمفهوم قرآني في الفلسفة الاقتصادية: مفهوم الوسطية.

المبحث الثاني: نموذج لمفهوم قرآن اقتصادي في الانفاق : مفهوم قواما.

المبحث الثالث: نموذج لمفاهيم قرآنية اقتصادية في إطار موضوع: المفاهيم القرآنية الاقتصادية في قصة نبى الله شعيب عليه السلام .

المبحث الأول

نموذج لمفهوم قرآني في الفلسفة الاقتصادية : مفهوم الوسطية

تمهيد :

١- دراسة الوسطية كمفهوم قرآني تستلزم تحديد معنى الوسطية وهذا التحديد يفيد في أن الإحالة تكون إلى معلوم، وكذلك يفيد في بيان أبعاد الموضوع وعناصره، هذا وغيره يدخل في أهمية التحديد أو التعريف.

٢- تتعدد المداخل لتقديم تعريف وقد يمكن القول إن هذه المداخل متكاملة، كما أنها ترقى إلى أن تكون مناهج. المدخل أو المنهج الذى أحاول به تعريف الوسطية يتأسس على تعريف الوسطية كما جاء عند حديث المفسرين عن قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ وكذلك حديثهم عن قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾

اخترت أربعة من كتب التفسر، وهذه الكتب الأربعة يمكن القول عنها إنها تمثل مدارس رئيسية في التفسير، والكتب الأربعة هى: تفسير الفخر الرازي للإمام محمد الرازي، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام محمد الألوسى البغدادي، وتفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (متضمناً آراء أستاذه الشخ محمد عبده) وتفسير التحرير والتنوير للشيخ محد الطاهر بن عاشور.

سوف أعرض ما قاله هؤلاء المفسرون الأربعة عن قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ وكذلك ما قالوه عن قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾. ومن خلال هذا العرض يتحدد معنى الوسطية. وبناء على ما قاله المفسرون الأربعة استنتج المعاني الاقتصادية التي يحملها مفهوم الوسطية وذلك على مستوى الفلسفة الاقتصادية الإسلامية (فلسفة الوسطية)، ثم على مستوى النظام الاقتصادى، وأخيراً على مستوى السلوك الاقتصادي.

أولاً: معنى الوسطية:

١- تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/١٤٣].

أ- تفسير الرازي :

القول الأول: الوسط هو العدل والدليل قال أوسطهم أى أعدلهم، وعن النبي ﷺ قال أمة وسطاً أى عدلاً. وقال صلى الله عليه وسلم خير الأمور أوسطها أى أعدلها.

وأما المعنى فمن وجوه. أحدها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الافراط والتفريط رديئان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين ، فكان معتدلاً فاضلاً.

وثانيها: إنما سمى العدل وسطاً لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين ، والعدل هو المعتاد الذى لا يميل إلى أحد الطرفين .

وثالثها: لا شك أن المراد بقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ طريقة المدح لهم.... أى ما يتعلق بالمدح في الدين ، فوجب أن يكون المراد من الوسط العدالة .

ورابعها: أن أعدل بقاع الشيء وسطه لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال. والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوسط محمية فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذى لا يميل إلى جهة دون جهة .

القول الثاني: أن الوسط من كل شيء خياره، قالوا وهذا التفسير أولى لأنه مطابق لقول الله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

القول الثالث: أن الرجل إذا قال فلان أوسطنا فالمعنى أنه أكثر فضلا وهذا وسط فيهم كوسط القلادة.

القول الرابع: يجوز أن يكون وسطاً على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في الأشياء.

وأعلم ان هذه الأقوال متقاربه غير متنافية والله أعلم (١) .

ب – تفسير محمد رشيد رضا :

الوسط هو العدل والخيار ، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر أفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتقصير ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر ، أى المتوسط بينهما.

---

(١) الأمام محمد الرازى ، تفسير الفخر الرازي ، الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، المجلد الثاني (٤) ، دار الفكر ١٤٠٥ – ١٩٨٥ ، ص ١٠٦ – ١٠٨

قال الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) بعد إيراد هذا ، ولكن يقال لم أختير لفظ الوسط على لفظ الخيار مع أن هذا هو المقصود والأول إنما يدل عليه بالالتزام . والجواب من وجهين (**أحدهما**): أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي فإن الشاهد على الشيء لابد أن يكون عارفاً به ، ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر. وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضاً. (وثانيهما) أن في لفظ الوسط إشعار بالسببية فكأنه دليل على نفسه ، أى أن المسلمين خيار وعدول لأنهم وسط ، ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين ، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال .

وذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين – قسم تقضى عليه تقاليده بالمادية فلاهم لهم إلا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركين ، وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثيني الهند أصحاب الرياضات .

وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله تعالى لها في دينها بين الحقين حق الروح وحق الجسد فهى روحانية جثمانية ، وإن شئتقلت إنه سبحانه أعطاها جميع الحقوق الإنسانية فإن الإنسان جسم وروح ، حيوان وملك فكأنه قال سبحانه : جعلناكم أمة وسطاً تعرفون الحقيقة وتبلغون الكمالين(١) .

جـ – تفسير محمد الطاهر بن عاشور :

الوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به ، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصيانة والعزة .

وأما إطلاقه الوسط على الصفة الواقعة عدلاً بين خلقين ذميمين فيهما إفراط وتفريط كالشجاعة بين الجبن والتهور ، والكرم بين الشح والسرف، والعدالة بين الرحمة والقسوة . فالوسط في هذه الآية فسر بالخيار لقولة تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، وفسر بالعدل .... والجمع في التفسيرين هو الوجه (٢).

٢– تفسير قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[القلم/٢٨].

---

(١) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم ، الشهير بتفسير المنار ، جـ ٢ ، الطبعة الثانية دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ص ٤ – ٥ .

(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، جـ ٢ الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ م ، ص ١٤-٢٠.

أ - قال أوسطهم: أعدلهم وأفضلهم(١)

ب - قال أوسطهم: أى أحسنهم وأرجحهم عقلا ورأياً (٢)

جـ- أوسطهم: أفضلهم وأقربهم إلى الخير وهو أحد الإخوة الثلاثة. والوسط يطلق على الأخير والأفضل(٣)

ثانياً : المعاني التى يحملها مفهوم الوسطية

مقدمة :

المفهوم وعاء معرفي جامع يعبر عن خلاصة الأفكار في مجاله وبحيث تكون هذه الأفكار في تلاؤم مع الرؤية الكلية للشريعة التى تنتمي إليها أو الفلسفة التى تبناه. والمفهوم بهذا يتميزعن المصطلح حيث أن المصطلح هو ما اصطلح عليه أهل علم من العلوم من حيث دلالته على معنى معين. هذا العمل العلمي الذى أقدمه عن الوسطية يتعامل معها على أنها مفهوم من المفاهيم الإسلامية وهو في تلاؤم مع الشريعة الإسلامية ككل ويعبر عن خلاصة أفكار الشريعة في مجاله .

تأسيا على هذا المعنى للمفهوم وتفعيلا له أحاول استخلاص المعاني التى يحملها مفهوم الوسطية من أراء المفسرين التى ذكرتها سابقاً .

١- الوسط هو العدل :

أ - الوسط هو العدل لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين.

ب - الوسط مدح في الدين يعنى ، تحقيق العدالة.

٢ - الوسط هو الاعتدال

الوسط عبارة عن المعتدل الذى لا يميل إلى جهة دون جهة .

٣ - الوسط هو الخيار

وسط كل شيء هو خياره ، فالخيار هو الوسط بين طرفى الأمر .

٤ - الوسط هو الأكثر فضلا

إذا قال أحد إن فلاناً أوسطنا أى أكثرنا فضلا .

٥ - الوسط فى الدين هو البعد عن الغلو والتقصير فى العقائد والأخلاق والأعمال .

---

(١) الأمام محمد الرازى ، تفسير الفخر الرازي ، جـ ٣٠ ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٢) الامام الألوسى البغدادى ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، جـ ٢٩، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٣٢ .

(٣) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، جـ ٢٩ ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

٦- الوسط هو الكمال لأنه يجمع بين حق الروح وحق الجسد، أى يجمع الكمالين.

٧ – الوسط هو الأقرب إلى الخير .

٨ – الوسط هو الأرجح عقلا .

٩ – الوسط هو الأرجح رأيا .

١٠ – الوسط هو الأحسن .

ثالثا : المعاني الاقتصادية التي يحملها مفهوم الوسطية الإسلامية

المعاني العشرة لمفهوم الوسطية الإسلامية والتي ذكرت في الفقرة السابقة يمكن اعتبارها المعاني العامة لهذا المفهوم والتي يمكن توظيفها في كل التخصصات العلمية، مثل العلوم التربوية والعلوم السياسية والعلوم الاقتصادية. أحاول في هذه الفقرة توظيف هذه المعاني العامة لمفهوم الوسطية الإسلامية في الاقتصاد حيث الاقتصاد هو التخصص الذي يعمل عليه هذا البحث.

الاقتصاد له تصنيفاته المتعددة وعندما يكون الحديث عن الاقتصاد فإنه يعرض لهذه التصنيفات وهى الفلسفة الاقتصادية والنظام الاقتصادي والنظريات الاقتصادية التي تفسر السلوك الاقتصادي. المعاني العشرة لمفهوم الوسطية الإسلامية والتي ذكرت سابقا هي خصائص للفلسفة الاقتصادية الإسلامية والنظام الاقتصادي الإسلامي والنظريات الاقتصادية الإسلامية. وأحاول أن أعطى تفصيلا أو تفسيراً لهذا الإجمال في الفقرات التالية.

١ – مفهوم الوسطية والفلسفة الاقتصادية الإسلامية (فلسفة الوسطية)

الفلسفة الاقتصادية لأى عقيدة دينية أو غير دينية تمثل الرؤية الكلية لهذه العقيدة فى الاقتصاد. وبعبارة أخرى يمكن القول إن الفلسفة الاقتصادية هى تفعيل للعقيدة موضع البحث أو موضع الاهتمام فى مجال الاقتصاد .

العقيدة الإسلامية القائمة على الوسطية تنتج فلسفة اقتصادية وسطية . وهذه الفلسفة الاقتصادية الوسطية تحمل أو تتمتع بالخصائص التالية .

- **العدل**
- **الاعتدال**
- **الأخير**
- **الأفضل**
- **البعد عن الغلو والتقصير**

- **الكمال**
- **الخير**
- **الأحسن**
- **الأرجح فى القبول العقلي**
- **الأرجح فى الرأي**

الفلسفة الاقتصادية الإسلامية بهذه الخصائص والتي تمثل الرؤية الكلية الإسلامية الحاكمة للاقتصاد – هذه الفلسفة هي التي تشكل النظام الاقتصادي الإسلامي وتحدد فعالياته ، وهى التي على أساسها تصاغ النظريات الاقتصادية الإسلامية التي تفسر السلوك الاقتصادي للوحدات الفاعلة في الاقتصاد .

مفهوم الوسطية والنظام الاقتصادي الإسلامي (نظام الوسطية)

النظام الاقتصادي هو الذي ينقل الفلسفة الاقتصادية إلى التطبيق، وبهذا الفهم يكون النظام الاقتصادي الإسلامى هو التطبيق للفلسفة الاقتصادية الإسلامية والتي تتمتع بالخصائص العشرة التي ذكرت سابقاً . وتفعيل خصائص هذه الفلسفة في النظام الاقتصادي الإسلامي يجعل هذا النظام يتمتع هو أيضا بالخصائص التالية .

الخاصية الأولى: النظام الاقتصادي الإسلامي هو نظام الوسطية، وبالإحالة إلى النظم الاقتصادية المعاصرة فإن هذا النظام لا يعتبر الحرية المطلقة ولا يعتبر التدخل المطلق.

الخاصية الثانية: النظام الاقتصادي الإسلامي هو النظام الذى يستهدف تحقيق العدالة الاقتصادية بطريقة مباشرة ولا يترك تحقيق هذه العدالة للآلية التى يتحرك بها الاقتصاد أو تتفاعل بها المتغيرات الاقتصادية.

الخاصية الثالثة: النظام الاقتصادي الإسلامي يتأسس على تحقيق الخير للجميع، والمقصود بالجميع جميع فئات المجتمع. وهذا على المستوى الداخلي، كما يمتد مفهوم الجميع ليشمل الإنسان حيثما وجد وأيا كانت انتماءاته. أما الخير فيدخل فيه تحقيق العلاقة الصحيحة بين الإنسان والإنسان وكذلك بين الإنسان والبيئة .

الخاصية الرابعة: النظام الاقتصادي الإسلامي يتمتع بالكمال المطلق وذلك لاستيعابه لجميع ما يلزم أن يتوافر فى النظام أو يعمل عليه النظام .

الخاصية الخامسة: النظام الاقتصادي الإسلامي تقبله العقول وتتفق حوله الآراء وذلك لعدالته وشموله وموضوعيته وخيريته .

مفهوم الوسطية والسلوك الاقتصادي الإسلامي (علم الاقتصاد الإسلامي)

عندما يوضع النظام الاقتصادي في التطبيق فإنه ينتج متغيرات اقتصادية وذلك مثل الاستهلاك والادخار والاستثمار كما تقوم في هذا التطبيق علاقات تحدد الأسعار والأجور والأرباح وغيرها، ويمتد الأمر ليشمل العلاقات الاقتصادية بين الدول والتي تفسر بنظريات التجارة الدولية.

موضوع علم الاقتصاد المعاصر أو التقليدي، أيا كانت التسمية، هو تفسير هذا الواقع الاقتصادي من غير الحكم عليه ، ولذلك فإن علم الاقتصاد المعاصر هو علم تفسيري ؛إنه يفسر المتغيرات الاقتصادية بواسطة النظريات الاقتصادية المعروفة مثل نظرية المستهلك ونظرية المنتج أو المنشأة،ونظريات التجارة الدولية .

علم الاقتصاد الإسلامي هو علم تفسيري؛ إنه يفسر الواقع ولكنه واقع محكوم بالفلسفة الاقتصادية الإسلامية بخصائصها العشرة التي ذكرت سابقا ومنها العدالة والكمال والشمول والخيرية، وكذلك هو واقع محكوم بتطبيقات النظام الاقتصادي الإسلامي الذي هو نظام الوسطية.

علم الاقتصاد الإسلامي على النحو الذي وصف هو علم تفسيري ويتضمن الحكم على الواقع . وهذا الأمر الأخير وهو الحكم على الواقع يميزه عن علم الاقتصاد التقليدي أو المعاصر، بل إنه يجعله يفارقه .

أحاول أن أعطى أمثلة عن هذا الذي أقوله عن علم الاقتصاد الإسلامي. علم الاقتصاد الإسلامي فيه نظرية للمستهلك تفسر واقع الاستهلاك وبجانب أنها تفسر الواقع فإنها تحكم عليه بالخصائص العشرة للفلسفة الاقتصادية الإسلامية ومنها خاصية الاعتدال والبعد عن الغلو والتقصير . أيضاً علم الاقتصاد الإسلامي فيه نظرية للمنتج أو المنشأة تفسر واقع الإنتاج وبجانب أنها تفسره فإنها تحكم على هذا الواقع بالخصائص العشرة للفلسفة الاقتصادية الإسلامية ومنها خاصية تحقيق الخير للمجتمع بجميع فئاته. علم الاقتصاد الإسلامي فيه نظرية للتجارة الدولية تفسر واقع هذه التجارة وبجانب أنها تفسره فإنها تحكم عليه

بالخصائص العشرة للفلسفة الاقتصادية الإسلامية ومنها خاصية تحقيق العدل بين الدول التي يتم التبادل التجاري بينها.

أجمل القول عن علم الاقتصاد الإسلامي : تفسير الواقع فيه متضمن الحكم على هذا الواقع وذلك لمعرفة مدى التزام الواقع بالفلسفة الاقتصادية الإسلامية بخصائصها العشرة.

يمكن إجمال القول عن الاقتصاد الإسلامي بطريقة أخرى: إذا كان الواقع الاقتصادي نشأ وتشكل على أساس الفلسفة الاقتصادية الإسلامية فإن علم الاقتصاد الإسلامي يكون موضوعه هو تفسير هذا الواقع. وفى هذه الحالة وحدها يقبل القول بأن علم الاقتصاد الإسلامي هو علم تفسيري.

المبحث الثاني
نموذج لمفهوم قرآني اقتصادى في الإنفاق
مفهوم قواما

هذا هو المبحث الثاني في الدراسة التي أقدمها عن مفاهيم قرآنية اقتصادية .. وهذا المبحث خاص بمفهوم قواما. الطريقة التي أعالج بها هذا المفهوم سوف تتضمن إضافة جديدة وذلك بالمقارنة بالطريقة التي اتبعتها في علاج مفهوم الوسطية. الجديد في معالجة مفهوم قواماً هو التعريف ببعض آيات القرآن الكريم التي ذكر فيها مصطلح قواماً ومشتقاته، والتعريف بهذه الآيات يفيد في معرفة الشجرة اللغوية التى يسكن فيها مفهوم قواماً وبالتالي الموضوعات التي يربط بها . ولأهمية هذه الفكرة سوف أجعلها الفقرة الأولى في هذا المبحث. وبعد ذلك نتعرف على معاني قواماً كما قالها المفسرون ثم ننتقل أخيراً إلى الدلالات الاقتصادية التي يحملها مفهوم قواماً.

أولاً: الشجرة اللغوية لمفهوم قواماً والموضوعات التى ينتمي إليها

تمهيد :

أحاول في هذه الفقرة أن أتعرف على الشجرة اللغوية لمفهوم قواماً وذلك من معايشة بعض الآيات التي ذكرت فيها كلمة قواماً أو مشتقاتها . ومن خلال معايشة الآيات المختارة سوف يتم التعرف على موضوعات هذه الآيات وبالتالي تكون هذه الموضوعات هى التي ربطها القرآن الكريم إلى مفهوم قواماً ،وبعبارة أخرى هى الموضوعات التي ينتمي إليها هذا المفهوم.

كلمة قواماً بهذه الصيغة جاءت في القرآن الكريم في آية واحدة وهى الآية التي أدرسها في هذا المبحث بالمعنى الاقتصادي الذي أدرسها فيه . أما المشتقات المرتبطة بكلمة قواماً فقد وردت في القرآن الكريم في آيات كثيرة وسوف أختار بعض الآيات التى وردت فيها المشتقات المرتبطة بكلمة قواماً وأعمل على التعرف على معناها في هذه الآيات .

١-يقول الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم/٣٠].

موضوع الآية: هذه الآية ورد فيها (فأقم) وهى مشتقة مرتبطة بمفهوم قواماً، والآية تتحدث عن الدين الحق الذي فطر الله الناس عليه. يحق لنا أن نستنتج أن مفهوم قواماً مرتبط بالدين الحق .

٢-يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[الإسراء/٩].

موضوع الآية : تتكلم هذه الآية عن أن القرآن الكريم يهدى للتي هى أقوم ويدخل في ذلك كل ما يتعلق بالدين الحق ، كما أن هذا القرآن يبشر الذين يعملون الصالحات بالأجر الكبير. هذه الآية اشتملت على كلمة أقوم وهذه الكلمة من المشتقات المرتبطة بمفهوم قواماً .ويحق لنا أن نستنتج أن مفهوم قواماً مرتبط بأن القرآن الكريم يهدى للتي هى أقوم .

٣-يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت/٣٠].

موضوع الآية: تتحدث هذه الآية عن المتقين الذين تبشرهم الملائكة بعدم الخوف والحزن، كما تبشرهم بالجنة. وردت في هذه الآية كلمة استقاموا، وهى مشتقة لها ارتباطها بمفهوم قواماً، ولذلك يحق لنا أن نستنتج أن مفهوم قواماً له ارتباطه بالاستقامة.

٤- يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة/٢٧٧].

موضوع الآية: هذه الآية من الآيات الجامعة لموضوعات كثيرة ، إنها جمعت الإيمان والعمل الصالح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ،وبشرت أصحاب هذه الأعمال بالأجر الكامل على أعمالهم، كما أمنتهم من الخوف والحزن . والآية تضمنت مشتقة من المشتقات المرتبطة بمفهوم قواماً. ولذلك يحق لنا أن نستنتج أن مفهوم قواماً له ارتباطه بالإيمان والعمل الصالح، كما أن له ارتباطه بالصلاة والزكاة.

٥ - يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[الرحمن/٩].

موضوع الآية: هذه الآية تتكلم عن ضرورة الالتزام بالعدالة في الميزان، وهو معنى يتسع للعدالة في كل العلاقات الاقتصادية بين الناس. وردت في هذه الآية كلمة وأقيموا، وهى من المشتقات المرتبطة بمفهوم قواما، ولذلك يحق لنا أن نستنتج أن مفهوم قواماً له ارتباطه بالعدالة في المعاملات الاقتصادية أو العلاقات الاقتصادية بين الناس.

٦ - يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين/٤].

موضوع الآية: تخبر الآية أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم . والحسن في التقويم كما يكون في الشكل أو الصورة فإنه يكون أيضاً في السلوك. كلمة تقويم وردت في هذه الآية، وهى من المشتقات المرتبطة بمفهوم قواماً، ولذلك يحق لنا أن نستنتج أن مفهوم قواماً له ارتباطه بأن الإنسان خلق في أحسن تقويم من حيث السلوك الاقتصادي.

استنتاج:

تضمنت هذه الفقرة معايشة لست آيات من كتاب الله ، وهى معايشة ليست متعمقة وإنما معايشة من التي يقال عنها نظرة طائر. وهدف هذه المعايشة وهو هدف الفقرة هو التعرف على الموضوعات التي لها ارتباط بمفهوم قواماً. والأمر الذي يجب التشديد عليه هو أننا عايشنا ست آيات بينما الآيات التي تضمنت مشتقات لغوية مرتبطة بمفهوم قواماً كثيرة.

الآيات الست التي عايشناها يستنتج منها أن مفهوم قواماً له ارتباطه بالموضوعات التالية:

١- مفهوم قواماً له ارتباطه بالإيمان والدين الحق .

٢- مفهوم قواماً له ارتباطه بأن القرآن الكريم يهدى للتي هى أقوم .

٣- مفهوم قواماً له ارتباطه بالاستقامة.

٤- مفهوم قواماً له ارتباطه بالصلاة والزكاة.

٥- مفهوم قواماً له ارتباطه بالعدالة ويدخل فيها العدالة الاقتصادية.

٦- مفهوم قواماً له ارتباطه بأن الإنسان خلق في أحسن تقويم، ويدخل في ذلك السلوك الاقتصادي.

ثانياً: الدلالات الاقتصادية لمفهوم قواماً

أحاول في هذه الفقرة التعرف على الدلالات الاقتصادية لمفهوم قواماً وذلك من خلال عرض آراء المفسرين لهذا المفهوم، وقد اخترت ثلاثة من المفسرين اعتقد أنهم يغطون مساحة زمنياً مقبولة كما أنهم يمثلون مدارس في التفسير متنوعة.

يقول الله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{٦٣} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{٦٤} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{٦٥} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٦٦} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{٦٧}﴾[الفرقان/٦٣ – ٦٧].

١- قواما

الصفة الخامسة لعباد الرحمن القوام في الإنفاق. القوام بالفتح العدل والاستقامة. وبالكسر ما يدوم عليه الأمر ويستقر العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالها(١).

---

(١) الإمام محمد الرازى ، تفسير الفخر الرازي ، جـ ٢٤ ، مرجع سابق ، ص ١١٠

٢- قواما

ما يقام به الشيء، يعنى ما تقوم به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص(١).

٣- قواما

العدل والقصد يبين الطرفين، والمعنى أنهم يضعون النفقات مواضعها الصحيحة(٢)

من هذه الآراء التي عرضت للمفسرين عن مفهوم قواماً نستنتج الدلالات الاقتصادية التالية لهذا المفهوم عندما يستخدم صفة للإنفاق.

وهذه الدلالات الاقتصادية هي:

١- القوام هو العدل في الإنفاق .

٢- القوام هو الاستقامة في الإنفاق.

٣- القوام هو ما تقوم به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص.

٤- القوام هو وضع النفقة في مواضعها الصحيحة .

ثالثاً: الوعاء الإيماني الذي جاء فيه المفهوم الاقتصادي قواما في سورة الفرقان (التربية المؤهلة)

يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{٦٣} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{٦٤} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{٦٥} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٦٦} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{٦٧} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{٦٩} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{٧٠}﴾[الفرقان/٦٣ – ٧٠].

جاء المفهوم الاقتصادي قواماً في سورة الفرقان في سياق الحديث عن موضوعات إيمانية، وبعبارة أخرى جاء مرتبطاً بموضوعات إيمانية .. بمنهج علم المناسبة وهو منهج معروف في الدراسات القرآنية أعايش هذه الآيات باعتبارها تكون وعاء إيمانيا وضمن هذا الوعاء الإيماني جاء المفهوم الاقتصادي قواماً ليأخذ أهميته من أهمية موضوعات هذا الوعاء

---

(١) العلامة الألوسي البغدادى ، روح المعاني ، جـ ١٩ ، مرجع سابق ، صـ ٤٦ .

(٢) الشيخ ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، جـ ١٩ ، مرجع سابق ، صـ ٧٢ .

الإيماني. وسوف أقتصر على معايشة الآيات السابقة على الآية التي جاء بها مفهوم قواماً، وذلك باعتبارها تمثل التربية المؤهلة لتلقى مفهوم قواماً، أو التربية المعدة لتلقى مفهوم قواماً.

موضوعات هذا الوعاء الإيماني المتضمن التربية المؤهلة أو الموضوعات المكونة لهذا الوعاء كما جاءت في سورة الفرقان ٦٣ ، ٦٧ هى الموضوعات التالية:

الموضوع الأول : التواضع

وجاء هذا الموضوع في قول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً{٦٣}﴾.

التوظيف الاقتصادي: التواضع له ارتباطه الصريح والمباشر مع موضوع المفهوم الاقتصادي قواماً. إن مفهوم قواماً كما جاء في الآية ٦٧ له دلالته الاقتصادية حيث أنه يمثل نوعاً من الإنفاق وما دام الأمر أمر إنفاق اقتصادي من غنى أو فقير فجاء التوجيه للغنى أن يتواضع.

الموضوع الثاني: العفو

جاء هذا الموضوع في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾. [الآية/٦٣].

التوظيف الاقتصادي: استدعاء للتفسير الاقتصادي الذي ذكر في أولاً فإن الغني المخاطب بالإنفاق قواماً تمت مخاطبته كذلك بالعفو

الموضوع الثالث: مواصلة العبادة

جاء هذا الموضوع في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾[الفرقان/٦٤].

التوظيف الاقتصادي: التربية الإيمانية التى يعمل عليها هذا الموضوع هى تربية مؤهلة لإنسان، وبحيث أن هذا الإنسان بهذا التأهيل يخاطب بالإنفاق القوام .

الموضوع الرابع: اعتبار الآخرة أو الإيمان بالحساب في الآخرة

جاء هذا الموضوع في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{٦٥} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{٦٦}﴾.

التوظيف الاقتصادي: هذا الموضوع يعمل على الآخرة. والتربية المسبقة على اعتبار الآخرة تجعل الموضوع الذي تضمنه مفهوم قواما داخلا في هذه التربية، أي في اعتبار الآخرة.

الموضوع الخامس: الوسطية

جاء هذا الموضوع في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[الفرقان/٦٧].

مفهوم قواماً جاء في مقابل الإسراف والتقتير وهو يدل على الوسطية في الإنفاق.

التوظيف الاقتصادي : مفهوم قواماً يوظف في دلالات متعددة منها أنه يعنى أن الإنفاق هو الذي يقوم عليه الإنسان، وهو الذي يقوم عليه الاقتصاد، وهو الذي تقوم عليه العلاقات الاقتصادية بين الناس.

كلمة جامعة بين موضوع المبحث الأول: الوسطية وموضوع المبحث الثاني: قواما

موضوع المبحث الأول في هذا البحث هو مفهوم الوسطية، وموضوع المبحث الثاني هو مفهوم قواماً . مفهوم قواما هو تطبيق لمفهوم الوسطية، هو تطبيق له في مجال الاقتصاد. هذا الربط العام بين مفهوم الوسطية ومفهوم قواماً يلزم له توضيح وتفصيل.

١- الخصائص الرئيسية لمفهوم الوسطية قال بها المفسرون الذين تكلموا عن مفهوم قواماً، أي تظهر في كلامهم عنه. هؤلاء المفسرون تكلموا عن مفهوم قواما على أنه يحمل معنى العدل وهذه الأمور التي تعتبر من خصائص مفهوم قواماً هى أيضا من خصائص مفهوم الوسطية.

٢- إثبات هذا الربط بين مفهوم الوسطية ومفهوم قواماً يثبت أمراً آخر وهذا الأمر هو أن المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم هى مفاهيم متلائمة ومترابطة وكل منها يتكامل مع الآخر ويكمله. الأمر على هذا النحو يعجز البشر أن يأتوا بمثله. إن كل ما جاء في القرآن الكريم ينبع من مشكاة واحدة.

٣- عندما نحصر الحديث في الجانب الاقتصادي فإن هذه العلاقة بين مفهوم الوسطية ومفهوم قواما يعنى أن أمور الاقتصاد في الإسلام متلائمة ومتكاملة بحيث أن كلا منها يتلاءم مع الأمر الآخر ويكمله.

٤- هذا الذي اكتشفته من حيث التلاؤم والتكامل بين مفهوم الوسطية ومفهوم قواماً يلزم بأن توجه بحوث كثيرة إلى هذا الموضوع ، والثمرة أو الفائدة أو النتيجة التي تترتب على ذلك سوف تكون على درجة كبيرة من الأهمية من حيث دلالتها ومن حيث إعمالها في التطبيق.

المبحث الثالث

مفاهيم قرآنية في موضوع اقتصادي

(قصة نبى الله شعيب سورة هود)

تمهيد

موضوع هذا المبحث هو مفاهيم قرآنية في موضوع اقتصادي. يعنى ذلك أننا في هذا المبحث نتعامل مع موضوع المفاهيم القرآنية من مدخل جديد. المبحث الأول دراسة في مفهوم هو الوسطية، والمبحث الثاني دراسة في مفهوم هو قواما. أما هذا المبحث الثالث فهو دراسة في مفاهيم في إطار موضوع محدد.

الموضوع الذي اخترته هو قصة نبى شعيب كما عرضها القرآن الكريم في سورة هود. وقد اخترت هذه القصة لأن الموضوع الاقتصادي ظاهر فيها، وقد يمكن القول عنها إن الموضوع الاقتصادي محوري في هذه القصة.

أتعامل مع القرآن الكريم مع الالتزام بالمنهج العلمي، ولذلك فلن أسبق بنتائج مما يعتبر مصادرة على المطلوب، وإنما سوف أعرض أولاً القصة كما جاء في القرآن الكريم، ثم استنتج بناء على ما عرض.

استنتاج

تضمنت الأوراق ، السابقة معايشة لآيات سورة هود التي وضحت بعض جوانب قصة نبى الله شعيب ﵇ مع قومه مدين . وكشفت معايشة هذه الآيات عن أنها يمكن أن توضع في تسع مجموعات كل مجموعة منها تختص بموقف معين وفيما يتعلق بالموضوع الذي نبحثه وهو المفاهيم القرآنية. يستنتج أن كل آية أو أكثر من آية والتي عرضت أو تكلمت عن موقف معين تضمنت مفاهيم ولكن من بينها مفهوماً يعتبر هو المفهوم الأساسي أو المفهوم المفتاح، كما يقال.

الأمر الذى أرى أن أبرزه فيما أكتب هو أن قصة نبى الله شعيب ﵇ كما عرضتها آيات في سورة هود وبالنظر إلى هذه القصة كموضوع ، فإن القرآن الكريم أرشدنا إلى وجود مفاهيم تمثل المفتاح لعناصر هذه القصة. ويمكن القول إن القرآن الكريم علمنا كيف نتعامل مع المفهوم وكيف نوظفه في عرض موضوع معين والتعريف بهذا الموضوع.